الفجر

العدد الثامن – كانون الأول ٢٠١٣ – المحرم ١٤٣٥

الأجر الذي لا حدود له
محمد عادل فارس

الأيدي المجرمة..
عبد الله عيسى السلامة

العقد السياسي.. (٢)
جمعة محمد لهيب

إعطاء البيعة لأمراء الكتائب
هيئة الشام الإسلامية

الفجر

العدد الثامن – كانون الأول ٢٠١٣ – المحرم ١٤٣٥

المحتوى

3 الافتتاحية.. كيف نتعامل مع ذكرى الهجرة؟

4 بيان الروابط العلمية إلى الكتائب المجاهدة

6 الأيدي المجرمة.. تقبيلها والدعاء عليها...
عبد الله عيسى السلامة

7 إحياء فقه الأخوة في الله / ٢
د. عامر البوسلامة

11 العقد السياسي بين علماء الإسلام وعلماء الغرب / ١
جمعة محمد لهيب

14 الأجر الذي لا حدود له
محمد عادل فارس

18 فتاوى: إعطاء البيعة لأمراء الكتائب
هيئة الشام الإسلامية

21 الشاعر الملتزم وليد الأعظمي
محمود الطويل

25 من روائع حضارتنا
مصطفى السباعي

27 فيسبوك

28 يا رب.. انصر جنودك
خالد البيطار

مجلة شهرية تصدر عن
مكتب الشباب في جماعة الإخوان المسلمين
في سورية

:: فريق التحرير

حسام غضبان	رئيس التحرير
عمار يحيى الضايع	محرر
د. عامر غضبان	محرر
أسامة السيد عمر	محرر
عبد الكريم اليماني	محرر
أحمد يحيى الطويل	محرر
أسامة الشيدون	الطباعة والتوزيع
منى السعيد	التسويق الإلكتروني

تصفح الفجر
www.alfajrmg.net

تواصل مع الفجر
alfajr.mg@gmail.com

المقالات المنشورة تعبر عن رأي كتابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها

كيف نتعامل مع ذكرى الهجرة النبوية؟

:: التحرير

واقعة الهجرة النبوية، هي رحيل النبي محمد عليه الصلاة والسلام برفقة الصديق أبي بكر رضي الله عنه من مكة إلى المدينة، خرجا فيها مطاردين، ووصلا منتصرين.

وبقيت هذه الواقعة موضع بحث وتأمل في مجالات متعددة، في ميادين الفكر وميادين العمل، كانت إحدى الحوادث التي تناولها المفكرون والباحثون في ميادين فهم النصوص والاعتبار من الأحداث، وكانت مصدراً أساسياً للاجتهاد في مجال الفقه والتشريع، والإنتاج في مجال الفكر الحركي، والفكر التربوي.

وستبقى الأسئلة التي تثير القارئ وتوجه الباحث حول هذه الواقعة، ستبقى هذه الأسئلة قائمة، لأن هذه الحادثة تقدم نموذجاً فريداً، يدعونا دوماً للبحث والاعتبار، والتطبيق والاقتداء، فكيف كان هذا الانتقال لهذين الاثنين بداية لنصرٍ في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتحول في مسيرة أمته، ومعلمٍ حاضر في تاريخ الأمم، سنبقى دائماً نتأمل ونبحث: لماذا هاجر عليه الصلاة والسلام سراً، واستقبله أنصاره في احتفال علني؟ وكيف ارتبطت أحداث الهجرة بالأمر والتوجيه الإلهي، وبالاجتهاد و الإعداد البشري؟ وكيف أصبحت هذه النقلة بداية المجتمع والكيان الجديد المتوحد؟ وكيف أنشأت فكراً جديداً مستقلاً قائماً في هذا المجتمع الجديد، من مفاهيم هذا الفكر وعناصره الأساسية مفهوم «الهجرة» التي تجب ما قبلها؟ ولماذا اعتبرت الهجرة قرينة الدخول في الإسلام، وقرينة الجهاد، ومقابلة للنصرة؟

وكثرة الأسئلة المرتبطة بحادثة الهجرة تثير أسئلة أخرى؟ كيف تعامل الفقهاء والعلماء المسلمون مع هذا الحدث في العصور التالية لعصر النبي صلى الله عليه وسلم؟ وما مناهج اجتهاداتهم وبحثهم في هذه الواقعة؟ والسؤال المهم: لماذا لم تعد هذه الحادثة في عصرنا مصدراً موحياً لتجديد الاجتهاد واجتهاد التجديد؟

إننا نشعر بالحاجة للتعامل مع الذكرى المتكررة بمكونات جديدة مبتكرة، نشعر بحاجة لأن نعيش الحادثة الماضية بعناصرها وعواملها، وتفاصيلها وتداعياتها، لتبدو لنا كأنها حاضر نعاصره. ونشعر بحاجة لأن نعيش حاضرنا الحالي مع استحضار العبرة الحية من الماضي، فذكرى الهجرة ذكرى لحادث قد مضى، لكن فيه من العبر ما نحتاجه في حاضرنا الذي نرى فيه حوادث داهمة، تتحدى الفكر والفقه، وتتطلب السعي والمسابقة، لأننا في هذه الحوادث بين خيارات حاسمة تتراوح بين التراجع الخطير والنصر العزيز.

نسأل الله أن يمن علينا بنصره، كما من على النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر حين نصره: «إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار».

بيان الروابط العلمية والهيئات الإسلامية إلى الفصائل والكتائب المجاهدة في سوريا

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

يقول الله تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [التوبة:٧١]. وقال صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) [رواه مسلم].

إن المرحلة الخطيرة والمفصلية التي يمر بها بلدنا الحبيب سوريا، وما يعانيه الشعب السوري الحرّ الكريم على يد المجرمين من آل الأسد وأعوانهم وعملائهم، بالإضافة إلى التآمر العالمي الرهيب الذي لم يعد خافياً على أحد يتطلب من كلّ المخلصين والشرفاء أن يتعاونوا ويتكاتفوا لإيقاف نزيف الدم السوري.

وإن الروابط العلمية والهيئات الإسلامية في سوريا إذ تستشعر عِظَم المسؤولية التي حملهم الله إياها بأن يبينوا الحق للناس ولا يكتمونه يتوجهون بهذا البيان إلى الإخوة المجاهدين الذين اختصهم الله تعالى بشرف الجهاد في سبيله.

١. ندعو كافة الفصائل والكتائب المجاهدة على اختلاف مدارسها ومناهجها أن توحد صفها وتتناسى خلافاتها، وتجعل هدفها الأساسي إسقاط النظام المجرم ثم إقامة دولة الحق والعدل التي لا تتحقق إلا بإقامة حكم الله تعالى في الأرض.

٢ـ إن أي خلاف يؤدي إلى التفرقة والتمزق لا يصب إلا في مصلحة العدو المجرم، فالوحدة قوة ونصر، والتفرقة ضعف وهزيمة، قال تعالى: «وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [الأنفال:٤٦].

٣. في حال حصول أي خلاف بين طرفين ينبغي على طرفي الخلاف أن يسارعوا إلى الصلح والتصافي، عملاً بقول الله تعالى: «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» [فصّلت: ٣٤].

٤. في حال تعثر الصلح المباشر لابدَّ من الاتفاق على هيئة شرعية من العلماء والحكماء تكون مرجعاً وحَكَماً للجميع، بحيث يعطونها العهود والمواثيق على الالتزام بحكمها وقراراتها، ومن يخرج على حكمها يكون ناقضاً للعهد والميثاق، وخارجاً على حكم الجماعة، ومن حق الهيئة أن تتخذ الحكم المناسب به حسب اللائحة التي تنظمها الهيئة بالاتفاق مع الأطراف المعنية.

٥. إن ما يصدر عن بعض الأشخاص أو المجموعات المحسوبة على فصائل المجاهدين من تسرع في تكفير وتضليل إخوانهم في الفصائل الأخرى ثم استباحة دمائهم أمر ينذر بشرٍّ خطير، ويوقع في فتنة عمياء تأتي على الأخضر واليابس، فالتكفير حكم شرعي تترتب عليه أحكام خطيرة، فلا يصح أن يفتي به إلا العلماء الراسخون بعد استجلاء الأمر ودراسته والتحقق منه تحقيقاً دقيقاً، بحيث تتحقق بالشخص الذي يُحكم عليه بالكفر شروط التكفير وانتفاء موانعه، قال صلى الله عليه وسلم: (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) [متفق عليه].

٦. إن الاعتداء على النفس المؤمنة أمر خطير يوقع المعتدي في غضب الله في الدنيا وعذابه في الآخرة قال تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعها، وإن كان أخاه لأبيه وأمه) [رواه مسلم].

فالحذر الحذرَ من الاقتتال الذي يغضب الله تعالى ويشمت بنا الأعداء، ولنتمثل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقوق المسلم على إخوانه المسلمين: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ولا يخذله، بحسب امرئ من السوء أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) [رواه مسلم].

٧ـ إننا نتوجه بالشكر إلى كل الإخوة المجاهدين الذين قدموا من خارج سوريا لنصرة إخوانهم، ونسأل الله تعالى أن يتقبل منهم جهادهم ويجزيهم خير الجزاء، ونذكرهم بأنهم ما جاؤوا إلا لنصرة المستضعفين، ومدافعة المعتدين، وتمكينهم من إزالة هذا النظام المجرم، وأنهم ضيوف أعزاء على أهل الشام، فلا ينبغي لهم أن يفرضوا عليهم فهماً ارتضوه، أو رأياً اختاروه، فإن أئمة أهل السنة المعتبرين انتشرت مذاهبهم في الأرض، وارتضى أهل كل بلد منها لأنفسهم ما ارتضوه، وفي أهل الشام أئمة أعلام متبعون في القديم والحديث، وما أجمل ما قاله الإمام مالك رحمه الله تعالى، إمام دار الهجرة، مخاطباً الخليفة أبا جعفر المنصور: (إن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كلُّ قوم بما سبق إليهم وعملوا به، وإنَّ ردَّهم عما اعتقدوه شديد، فَدَعِ الناس وما هم عليه وما اختار كل بلد لأنفسهم). ومن رأى فيهم ما يظنه خطأ أو انحرافا فسبيله النصيحة والموعظة الحسنة والحوار العلمي لا البغي والعدوان.

وختاماً يقول الله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [آل عمران: ١٠٣].

فالله الكريم نسأل أن يوحد صفنا ويلم شعثنا ويرزقنا الصدق في الأقوال والأفعال ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. اللهم آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الموقعون على البيان:

- رابطة العلماء السوريين
- هيئة الشام الإسلامية
- الهيئة العامة للعلماء المسلمين في سورية
- الملتقى الإسلامي السوري

الأيدي المجرمة:

تقبيلها والدعاء عليها.. ثم إدمان التقبيل، والدعاء لها!

:: عبد الله عيسى السلامة

* المثل الدارج يقول : اليد التي لاتستطيع عضّها ، قبّلها ، وادع عليها بالكسر !

* هذا المثل سيظلّ ، فيما يبدو ، متّبعاً ، في أكثر المجتمعات البشرية ، على مستوى المناورات الفردية بين الناس ، وتمرير المواقف ، والتعامل مع ظروف القوّة والضعف ، والتحايل عليها ! وليس في ذلك خطورة كبيرة على المجتمعات، وإذا وجِدت ، فهي محدودة ، في مجالات فرديّة معيّنة ، لاتكاد تتجاوزها ؛ حتّى لو تعدّدت مواقع هذه المناورات الفرديّة والبؤر الاجتماعيّة التي توجد فيها !

* خطورة هذا المثل ، تكمن في التعامل السياسي ، بين الأحزاب والحكومات ، أو بين الشعوب والحكومات :

- قادة الأحزاب ، الذين يتعاملون مع حكوماتهم المستبدّة الفاسدة بهذا المثل (المبدأ) ، يسهِمون في إفساد الحياة السياسية ؛ لأنهم:

١) يعوّدون عناصرهم على الذلّ والخنوع ! وهي ليست متمرّسة بفنون التعامل السياسي، ولا تفهم من المثل إلاّ جانبه النفسي الخلقي؛ أيْ: ما فيه من خنوع مرحلي ، وتبييت لنيّة الشرّ والغدر، والانتقام حين تتاح الفرصة له !

٢) تعزّز مكانة الحاكم المستبدّ الفاسد ، وتمنحه المزيد من الوقت، لتقوية سيطرته، والإفادة من تقبيل الأحزاب يديه ، في تلميع صورته بين الناس ، ولسان حاله يقول لشعبه : انظروا .. هاهي ذي قيادات الأحزاب السياسية تقبّل يدي! فأنا حاكم صالح ؛ إذا كانت صادقة ! وهي منافقة تافهة ؛ إذا كانت كاذبة مخادعة ! فلا تعوّلوا عليها في الإطاحة بحكمي ؛ لأنها لن تستطيع ! وإذا استطاعت، فستكون أشدّ فساداً منّي، بخداعها وغشّها، وسوء طباعها، وهوان نفوسها! والمبدأ، نفسه، ينسحب على الشخصيات البارزة في المجتمع ، التي تضعها ظروفها في مواقع القدوة للناس! فحين يرى الناس عالماً بارزاً، أو سياسياً مخضرماً، أو وجيهاً كبيراً .. ينافق للحاكم المستبدّ، لنيل حظوة لديه.. يتأثّرون بسلوكه، ويحرصون على تقليده، في الخنوع والهوان، وبيع المبادئ والأخلاق .. لقاء مكاسب هيّنة رخيصة، يمنّ بها الحاكم الفاسد عليهم .. من خيرات بلادهم، التي هي حقوق لهم في الأصل !

* أمّا مدح الحاكم الفاسد، وتزكيته أمام الناس، والثناء على سياساته وأخلاقه .. فهذا بلاء أخبث من تقبيل الأيدي، وأشدّ، وأقسى على الأمم والشعوب، أفراداً وجماعات!

إحياء فقه الأخوة في الله

(٢)

:: د. عامر البوسلامة

من فضائل الأخوة في الله:

وهنا لا بد من وضع النقاط على الحروف، لتفصيل بعض فضائل هذه الأخوة، وبيان محاسنها، وانعكاسها على واقع الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة، مع ربط بالسياسة الشرعية لهذه الأخوة، في سائر مناحي الحياة، فالأخوة، دين ودنيا، مع الجمع بينهما في تحقيق المصالح، ودرء المفاسد، من خلال فقه حضاري رائد، صنعت من خلاله أمة من الناس، صارت مضرب المثل، وموضع الأمل، ومعقد النجاة، لتأتي في كل زمان ومكان، مؤكدة على ضرورة إحياء هذا الفقه بعمقه الصحيح، وبأبعاده كافة، حتى تزهر الحياة، بحركتها الجديدة، خصوصاً في عالم المغالبة، والجشع المادي، واللهاث المالي، والسعار الطيني، والانهيار الأخلاقي، والتعلق بقيم الوحل، حيث أدت مثل هذه الحالة، إلى انزلاق في مستنقعات البحث عن اللذة الآنية، والتركيز على معاني الأنا، والصيرورة إلى تربية الانكفاء على الذات.

بل وجدت فلسفات تلذذية، تدعو إلى النفعية هنا لا نعني مذهب الإنكليزي، جيرمي بينتام، صاحب المذهب المشهور، في النفعية، فللكلام بحث آخر، ليس هذا مكانه- التي تؤكد على إرضاء، تفضيلات الفرد، بكل أبعادها، وسائر مقوماتها،

تأكيداً على الوعي بالأنا، كما يحلو لهم أن يعبروا عن هذه الحالة، من عشق النفس، وتضخم الذات، وتقديس المصلحة الشخصية، وتقديمها على كل مصلحة، ليحدث مرض (النرجسية) في عنفوان اضطرابها المرضي، وقمة بروزها اللهثي، ويتمثل ذلك بسلوك عدواني، مفاده: أنا أو الطوفان، فلا يبحث عن شيء إلاّ إذا كان في هذه الدائرة، بغض النظر عما يحدث للآخرين، فهذا ليس له به شأن، حتى لو وصل الأمر إلى أقرب المقربين، فيتحول الناس إلى حياة بعض الكائنات، التي تعيش على مص دماء بعضها، ولو كانت التي ولدتها، وربتها وسهرت على راحتها.

في خضم معمعة كهذه، يأتي فقه الأخوة، بفضله، وخيره، وربانيته، ونوره، وبهائه، وبركته، وتاريخه المشرف، وصفحاته المشرقة، الفقه الذي صنع جيل المحبة، وجيل الإيثار، وجيل التفاني من أجل الآخرين، جيل النكران للذات، والبهجة

في حب الخير لأخيه، مثل ما يحبه لنفسه، جيل يرتفع بالهمة، حتى لا يخذل أخاه، ولا يسلمه، جيل الاحترام لمشاعر الآخرين، فلا يعرف اللمز ولا الغمز، ولا يسخر فيه قوم من قوم، ولا نساء من نساء، جيل المحبة المجردة عن الغرض والمصلحة، جيل الصفاء في النظر إلى النظير، جيل الثقة في التعامل مع المثيل، جيل الحضارة الإنسانية، وحقوقها الربانية، إنه جيل الأخوة الذي صنع ويصنع النصر، في كل عصر ومصر. إنها مدرسة الأخوة، منهاجها كتاب الله، قائدها وقدوتها محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين والصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعاً، الجيل الأول الذي تخرج في هذه المدرسة، ورسم معالم العمل فيها، على أرض الواقع، وكان بحق أفضل جيل حمل هذه الأمانة، وأروع قرن ترجم هذه المبادئ، واقعاً معاشاً في ميادين الحياة وسُوح العمل، وبهذا صاروا كالنجوم، بها يقتدى، على ضوء هديهم يهتدى، فكانوا منارات الرسوخ في تطبيق هذه المعاني، التي ظن الظانون أنها ربما كانت من نسج خيال فيلسوف، على منوال المدينة الفاضلة، وفي النظر الصحيح والنقل الموثق الأكيد، يتبين أن ليس كذلك، بل هو واقع عاشته هذه الجماعة المباركة، التي ما عرفت الفلسفة ولا تداولتها، ولا قلبت صفحاتها في معهد أو جامعة، ولكنها تلقتها تربية إيمانية، من خلال نصوص وحي، وتربية المربي الأعظم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وإشرافه، والتربية بالأحداث، حولتها إلى قواعد اجتماع، ومناهج حياة، لا أخيلة فيها، بل كل مفردة من مفردات سياقاتها، تحكي قصة بناء شامخ، دارت عليه كثير من تراتيب المصالح، في المقاصد الشرعية، ودفع للمفاسد، في سداه ولحمته، نسجت على منوال الطاعة والقربى إلى الله تعالى، والبحث عن رضوانه، حتى لا يبقى للشيطان مدخل خرم إبرة يلج فيه ليهدم، كل ذلك، بخاصية التلقي للتنفيذ .

ومن فضل مدرسة الأخوة:

أنَّ المتحابين في الله يكونون في ظلّ عرش الله في وقت تدْنو الشَّمس من الرُّؤوس، ويَسبح الناس في عرقهم؛ ففي الحديث الصحيح، عن أبِي هُريرة عن النَّبيّ - صلَّى الله عليْه وسلَّم - قال: (سبعةٌ يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه)، وذكر من بينها: (ورجُلَين تحابَّا في الله - عزَّ وجلَّ - اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه).

وعن أبي هريرة عن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (يقول الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة: أين المتحابُّون في جلالي؟ اليوم أظلُّهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلِّي).

من هذا النص ندرك تمام الإدراك أن الأخوة الصادقة، بفقهها الصحيح، سبيل من سبل النجاة يوم لقاء الله تعالى، وباب من أبواب العبودية، ومنهج من مناهج القربى إلى الله تعالى، وطريق من طرق جمع الحسنات، وفي هذا دلالة على ضرورة التمسك بها، والعمل على التحقق بمعانيها، والعض على مناهجها بالنواجذ، ومن الحمق التفريط بها، ومن الكارثة في حق الفرد والجماعة، أن لا نسعى لنكون من أصحابها.

نافذة من نوافذ الرحمن فتحت لك يا عبد الله، فلا تغلقها بتلاعب الشيطان وأحابيله وخطواته، فيزين لك غيرها، ويدعوك لسواها، فتفرق بك وبغيرك السبل، ونجني عكس المراد.

من هنا جعل الإمام البنا رحمه الله تعالى- الأخوة ركناً من أركان الدعوة، وسبيلاً من سبل تكوين الأخ المسلم، لأنه بدونها، فالتربية فيها خلل، والمرء يكون على طريق الزلل، والصف في خطر، وبرامج العمل مهددة بطول الأمل، والمناهج تحتاج إلى سد النقص.

وهؤلاء هم الذين سيكونون على منابر من نور، يغبطون عليها.

فعن ابنِ عمر - رضِي الله عنْهُما - قال: قال رسولُ الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم -: ((إنَّ لله عبادًا ليْسوا بأنبِياء ولا شهداء، يغبطُهُم الشهداء والنبيُّون يوم القيامة؛ لقربهم من الله تعالى ومجلسهم منْه))، فجثا أعرابيٌّ على ركبتَيه فقال: يا رسول الله، صفْهم لنا وجلّهم لنا. قال: ((قوم من أفناء النَّاس من نزَّاع القبائل، تصادقوا في الله وتحابّوا فيه، يضَع الله - عزَّ وجلَّ - لهم يوْم القيامة منابرَ من نورٍ، يَخاف النَّاسُ ولا يخافون، هم أولياء الله - عزَّ وجلَّ - الَّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)). أخرجه الحاكِم في «المستدرك» وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

ثانيها: أنها نعمة من نعم الله تعالى، ومنة من مننه العظيمة، على الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة، بل والإنسانية: لأن خيرها يعود على كل هؤلاء بالنفع الكبير، والفوائد الوفيرة، ويحقق السلم الاجتماعي بكل مفاهيمه، وسائر تشكيلاته،

وهذا بنفس الوقت، يتكون من خلال التربية، التي تقوم على مبدأ (المراقبة الذاتية)، في صناعة الصلاح بمفهومه الشامل، وانسحاباته كلها، ولو كان الإنسان بعيداً عن رقابة البشر، وخارج سيطرتهم، ومن هنا يتكون جيل البناء، الذي يمن الله به على عباده، من خلال منحته لهم (بالأخوة)، وتفضله عليهم بها.

قال الله تبارك وتعالى:

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

يقول صاحب «الظلال» معلِّقًا على هذه الآية: «حسبك الله، فهو كافيك، وهو الَّذي أيَّدك بنصْرِه أوَّل مرَّة، وأيَّدك بالمؤمنين الَّذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وجعل منهم قوَّة موحَّدة، بعد أن كانت قلوبهم شتَّى، وعداواتُهم جاهرة وبأسهم بينهم شديدًا، سواء كان المقصود هم الأوْس والخزرج - وهم الأنصار - فقد كان بينهم في الجاهلية من الثَّارات والدِّماء والمنازعات ما يستحيل معه الالتِئام، فضلاً عن هذا الإخاء الَّذي لم تَعرف له الأرض نظيرًا ولا شبيهًا، أو كان المقصود هم المهاجرين، وهم كانوا كالأنصار في الجاهليَّة، أو كان الجميع مقصودين، فقد كانت هذه هي حالة عرب الجزيرة جميعًا! ولقد وقعت المعجِزة الَّتي لا يقدر عليها إلاَّ الله، والَّتي لا

تصنعها إلاَّ هذه العقيدة، فاستحالت هذه القلوب النَّافرة، وهذه الطِّباع الشَّموس، إلى هذه الكُتْلة المتراصَّة المتآخية الذَّلول بعضها لبعض، المحبّ بعضها لبعض، المتآلِف بعضها مع بعض، بهذا المستوى الَّذي لم يعرفه التاريخ، كما تشهد الأمَّة التي بناها على الحبّ أنَّها لم تكن مجرَّد كلمات مجنَّحة، ولا مجرَّد أعمال مثاليَّة فردية، إنَّما كانت واقعًا شامخًا قام على هذا الأساس الثَّابت، بإذن الله، الَّذي لا يقدر على تأليف القلوب هكذا سواه». اهـ.

وامتن الله تعالى على المسلمين بهذه الرابطة العظيمة فقال: «وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (١٠٣ آل عمران).

فتحولت الحياة بنعمة الأخوة من البغضاء إلى المحبة، ومن الفرقة إلى الاجتماع، ومن العداوة إلى الألفة، ومن الأنانية والحسد إلى الإيثار والمودة، ومن الجهل إلى العلم، ومن الجاهلية إلى الهدى، ومن تضخم الذات وتورمها، إلى البذل والتواضع، ومن الهدم إلى البناء، ومن التصارع إلى التكامل، ومن الانكفاء على الذات، إلى لغة العمل الجماعي، ومن التقوقع بكل شعبة ، إلى الانفتاح، الذي ينضبط بضوابط الثابت والمتحول ، فتثمر الحياة خيراً، ويكون الشهود الحضاري، منارة صدق، في عالم يتماوج بأفعال العماوة، وركائز العدوان، وظلامية التعاطي الإنساني.

وكان ذلك أولاً متمثلاً بوجود الجيل الأول، جيل القدوة، الجيل الرباني الفريد، جيل الصحابة- رضي الله عنهم- وتعاقبت الأجيال حاملة ذات المنهج، وإن تفاوتت النسب، لكنه لا يخلو زمان من هؤلاء الربانيين، الذي يمضون على نفس الطريق، ويتربون على قواعد هذه المدرسة.

بوارق:

- الأخوة في الله، باب من أبواب الطاعة لله، فلا تفرط فيها، واغتنم فرصتها، لتكون من أولياء الله.

- اخذل الشيطان، بحب إخوانك في الله، ولا تترك له فرصة التلاعب بك، أو بصف الجماعة المسلمة.

- تحقق بفقه الأخوة الحضاري، لبناء الحياة وصناعتها على قيم الفضيلة.

- اللهث وراء مكاسب الذات وعشقها، وتورم الأنا، عالجه بفقه الأخوة.

- لا جماعة بلا أخوة، ولا أخوة بلا سلوك عملي، يترجم الفقه إلى واقع.

العقد السياسي (2)

عند علماء الإسلام وعلماء الغرب

:: جمعة محمد لهيب

العقد السياسي عند الغربيين ابتدأ كفكرة مدنية عاصرت الفقه الكنسي في كتابات العصر الوسيط في أوربا، حيث إن كل مملكة في أوربا كانت تتمتع باستقلال ذاتي ويربطها عقد ضمني بين الملك والجماعات الداخلة في المملكة كما ألمح إليه الدكتور محمد طه بدوي بكتابه شرعية الثورة في الفلسفة السياسية وقد خرجت تدريجياً فكرة (العقد السياسي) من الضمنية في القرن الرابع عشر لتصبح نظرية جديدة تتلخص في أن الملك يقوم بمباشرة السلطة بمقتضى عقد يبرم بينه وبين الأفراد على اعتبار أن الشعب هو مصدر السلطة تلك وصاحبها في بادئ الأمر، ثم يمنح الملك مباشرتها مع الاحتفاظ لنفسه بحق نقلها لملك آخر.

وفي مقدمة المفكرين الغربيين بذلك العصر (مارسيل دي بادو) بكتابه (حامي السلام le Defensor Pacis) عام ١٣٢٤م حيث ذكر أن «الشعب هو صاحب السيادة وهو مصدر السلطة المدنية وله حق مراقبة هذه السلطة بعد قيامها» .

وشاعت فكرة العقد السياسي في القرن السادس عشر في أوربا خاصة في كتابات البروتستانت الذين هاجموا جور الملوك على أسس فلسفية، وذلك على إثر الاضطهاد الذي لحق بهم، كما في فرنسا بعهد شارل التاسع في سنة ١٥٧٢م حيث وقعت مذبحة (سان برتليمي) ومن أبرز المفكرين وقتها (تيودور دي بيز) خليفة (كالفن) بمؤلفه (حق الحكام على رعاياهم) الذي شرط لقيام الثورة على الملوك شعور الأغلبية بالجور وليس الأفراد.

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر -أي بالعصر الحديث- كان الملوك في أوربا أصحاب سلطة مطلقة قد وصلت لقِمتها فكانت ظاهرة الاستبداد السياسي متجسدة بالملوك حتى جاء الفلاسفة (توماس هوبز) و(لوك) و(روسو) الذين عرضوا ونشروا فكرة العقد السياسي وفصلوها وقعّدوا لها وتأثر بفلسفتهم الغرب ومفكروه، بل والشرق أيضاً حتى يومنا هذا.

مختصر كلام هوبز ولوك وروسو بالعقد السياسي:

أما الفيلسوف الإنجليزي (توماس هوبز Thomas Hobbes) (١٥٨٨-١٦٧٩م) الذي عاصر الخلافات الدينية بين البروتستانت والكاثوليك كما عاصر الصراع السياسي بين البرلمان والملك، فقد عرض لفلسفته السياسية في كتابه (اللوباثان leviathan) والملاحظ أنه بفلسفته قد أيد الحكم المطلق واعتبر القوة أساس شرعية الحكم، كما كان من المدافعين جداً عن قبول الحاكم المتغلب بالقوة، و(اللوباثان) مصطلح عبري يعني التنين أو كائن قوي خارق جداً. وكان تلميح هوبز أن الدولة هي اللوباثان، وذلك نجده في مقدمة كتابه حين ذكر أن أصل اللوباثان أو الكائن الصناعي الضخم هو: الإله المخلوق الذي يكفل السلام والأمن بفضل قوته وما نشأ له بمقتضى العقد من حق تمثيل كل عضو من أعضاء المجتمع فهو بفضل ذلك التمثيل يتسلح بقوة يرهب بها خالقيه جميعاً فيوجه إرادتهم نحو السلام في الداخل ونحو الاتحاد لمواجهة الأعداء في الخارج.

وافترض هوبز بالفصل الثالث عشر من مؤلفه أن الإنسان كان بحالة سماها (الحالة الطبيعية) وهي التي لم

يعرف الإنسان فيها السياسة وهي حالة تساوي بالقوة بين الأفراد كما افترض أن كل فرد عدو للفرد الآخر مما يدفع كل واحد منهم القضاء على الآخر بسبب عدم وجود قوة رادعة للجميع. ويعرض هوبز بالفصل الرابع عشر رؤيته لحل هذا النزاع والذي يكمن بإنتقال الأفراد للحالة الطبيعية الثانية حيث يتنازل الأفراد عن كل حقوقهم الطبيعية طواعية لكي يحافظوا على حياتهم من ناحية ويصلوا للسلام من ناحية أخرى حيث إن هذين الدافعين هما سبب العداء بين الأفراد بالحالة الطبيعية كما افترض ذلك. وهنا يخلص إلى أن أفضل أشكال الحكومات هي الحكومة الملكية المطلقة لأنها الوحيدة القادرة على تحقيق الأمن والسلام فإن عجزت الحكومة تلك عن مهمتها أو ضعفت كان رجوع الناس للحالة الطبيعية الأولى.

أما الفيلسوف الإنكليزي (جون لوك JOHN LOCKE) (١٦٣٢-١٧٠٤م) الذي نشأ ضمن أسرة مؤيدة للبرلمان فقد كان له مؤلفات كثيرة، يهمنا منها كتابه : (مقالتان في الحكومة المدنية) حيث تناول في المقالة الأولى رده على نظرية الحق الإلهي للملوك في الحكم وفي المقالة الثانية - وهي ما تهمنا- تناول نشأة المجتمع السياسي والسلطة السياسية ووجودها وغاياتها، وتكلم فيها عن نظريته بالعقد السياسي.

رفض لوك نظام الملكية المطلقة، ورفض كون (القوة) المرتكز الرئيس للحكومة، لأن البشر لا يتبعون سياسة الغابة حيث الغلبة للأقوى وإلا ستكون الفوضى الدائمة، وحاول لوك الكشف عن أصل جديد للسلطة السياسية، وهي «الحالة الطبيعية الأولى» للأفراد، لكنه لم ير كما افترض هوبز أن العداء سمة الحالة الأولى بل هي حالة الحرية والمساواة، وبذلك تكون الحالة الطبيعية الأولى حالة (الخير) عند لوك. لكنه لم ير أن (الحرية الكاملة) و(المساواة) في الحالة الطبيعية لا قيد عليهما أبل العقل السليم هو القيد من خلال عقوبات يجيزها تتناسب مع الخطأ وتهدف لإصلاحه والوقاية منه .

ويذكر لوك أن الناس تنتقل من الحالة الطبيعية لحالة المجتمع لأن الحالة الأولى لا تكفل لهم التمتع بحقوقهم الطبيعية لشروط ثلاثة افترضها :

الأول: افتقادها لقانون متوافق عليه يميز بين الخير والشر.

الثاني: افتقادها لقضاة موضوعين يفصلون في المنازعات.

الثالث: افتقادها لسلطة تتمتع بإكراه مادي وتكون قادرة على تنفيذ أحكام القضاة.

وفي الفصل الثامن من مقالته يذكر لوك أن البشر بالطبيعة أحرار ومتساوون ومستقلون، فلا يمكن أن يخضعوا لسلطة ما إلا برضاهم والطريقة الوحيدة التي يتنازل بها الأفراد عن حريتهم ويتحملون التزامات المجتمع السياسي تتمثل في إجراء عقد مع الآخرين ليحموا أنفسهم ويعيشوا بأمن وسلام ويأمنوا ممن يريد بهم الشر، وتبقى حقوقهم الطبيعية قائمة بعد نشأة المجتمع عن طريق العقد، ويستطيعون بعد أن يتحدوا من خلال هذا العمل الإرادي (العقد) إقامة شكل الحكم الذي يريدون. وهنا تنتقل سلطات الفرد الطبيعية إلى المجتمع لتنشأ سلطتان، واحدة لعمل القوانين وأخرى لتنفيذها.

ويعرض لوك السؤال: أيهما أفضل للبشرية، أن يكون الأفراد معرضين دائما لإرادة طاغية لاحدود لها أم أن يكون الحكام أحياناً معرضين لمقاومة ومواجهة الأفراد عندما يسيئون استخدام السلطة في انتهاك ملكيتهم بدلاً من صيانتها ؟ والإجابة من قبل لوك : الأفضل إعطاء الأفراد حق مقاومة الحكومات التي تجور على ملكياتهم. ومما يلاحظ أن فلسفة لوك هذه جاءت تبريراً فلسفيا لثورة البرلمان على الملك عام ١٦٨٨م.

أما الفيلسوف الفرنسي (جان جاك روسو Jean Jacgues Rousseau) (١٧١٢-١٧٧٨) فإن المطلع على سيرته يرى أنه ذو فكر مضطرب فبينما يحمل على المجتمع وتقاليده

كما في كتابه (أصل التفاوت) الذي نشره عام ١٧٥٥م يقدس الجماعة ويسودها كما في كتابه (العقد الاجتماعي) الذي نشر عام ١٧٦٢م.

وما يهمنا من فكره هو كتابه الأخير (العقد الاجتماعي) DU CONTRAL OU PRINCIPES DU DROIT) (POLITIGUES هذا المؤلف تضمن أربعة كتب عالج في الأول منها العقد الاجتماعي والثاني حقوق السيادة وحدودها والثالث دراسة عامة للحكومة وأشكالها والرابع معالجة بعض الجوانب المعينة بالحكومة.

الملاحظ أن روسو لا تتسم أفكاره بالأصالة بل إنه بنى أفكاره تقريبا على فلسفة (لوك) وانتقاده لها، كما بيّن الدكتور حورية توفيق.

في تصوره لمفهوم العقد السياسي انطلق روسو من افتراض عقلي، وهو أن الأفراد في «الحالة الطبيعية الأولى» قد توصلوا إلى نقطة مفادها أن هذه الحالة التي لا تعرف السياسة والمجتمع ستفني البشرية لو استمرت وهنا كان (العقد الاجتماعي) حلاً يراه كل فرد لحماية ممتلكاته، حيث يتحد الفرد بالكل وبنفس الوقت لا يخضع الفرد إلا لنفسه ليبقى حراً كما كان من قبل. والفرد إذ يعطي نفسه للكل بمقتضى هذا العقد لا يعطيها في الواقع لأحد فكل فرد يضع نفسه وكل ما أوتي من قوة مشتركة تحت إدارة (الإرادة العامة)، فيلتقون بهيئتهم تلك على أساس أن كل عضو جزء من كل لا يتجزأ فالسلطة بحسب روسو غير مشخصة في فرد معين فيتمتع الفرد في إطارها بحريته ويتولد عن العقد شخص معنوي وجماعي هو (الكل).

سيادة هذا الشخص المعنوي (الدولة) عند روسو غير قابلة للتصرف ولا للتجزئة فلا يمكن أبداً أن يمثل مجموعة من البرلمانيين كل الشعب وهنا رفض روسو فكرة (التمثيل) وأبدلها بـ (التفويض) أو (التوكيل)، فالبرلمان يقر القوانين والشعب بعد ذلك يرفضها أو يعدلها أو يقبلها .

وعند روسو أن (الكل) أي الأفراد والإرادة العامة ينبثق عنهم مؤسسات كثيرة وهذا (الكل) أعضاؤه مجتمعون (الشعب) ومتفرقون أيضاً (المواطنون)، ثم يأتي الشعب ليوكل عنه (الحكومة) والتي ليست طرفاً بالعقد أبل مجرد وسيط بين الشعب والمواطنين ومن حق الشعب عزل هذا الوسيط متى ما شاء ولهذا يرى الدكتور محمد طه البدوي أن عقد لوك يصلح أساسا للفلسفة الشمولية وإن كان يسعى لمجتمع حر فردي النزعة .

وهكذا يلتقي المفكرون الثلاثة على رد نشأة المجتمع السياسي إلى عقد (اتفاق)، ومن ثم رد نشأة المجتمع إلى إرادة أفراده واختلفوا في مضمون وضمانات عقدهم السياسي إلى الحد الذي يصح معه القول بأن أهدافهم جاءت متناقضة. فـ(هوبز) استخدم فكرة العقد السياسي كسند عقلي لتأييد السلطة الملكية المطلقة. و(لوك) استهدف الإقناع بأن الأصل في السلطة السياسية أنها مقيدة فأرسى بذلك حجر الأساس في فلسفة الدولة الغربية الفردية النزعة بملامحها المعاصرة. أما (روسو) فقد استند في فلسفته الفردية النزعة لتقديم فلسفة مناهضة لكل من سلفيه.

كان هذا ملخص موجز عرضت فيه أهم مفاهيم فكرة العقد السياسي عند كبار ومراجع فلاسفة الغرب وأعتذر إن كان هناك قفزات فكرية لضرورة حبكة المقال، ولأن هذا المقال مخاطب به فئة من القراء، وربما تمل عين معظم القارئين متابعته، ولا بد أن نأتي على مقارنة سريعة ومقابلة لمضمون وضمانات وغايات فكرة (العقد السياسي) بين مفكرينا وبين مفكري الغرب الحديث لتوضح الصورة أكثر، ويتبين لنا قوة ثقافتنا وتراثنا الفلسفي والسياسي والفكري الحضاري البشري وذلك يحتاج لمقال آخر وأخير بإذن الله.

الأجر الذي لا حدود له

:: محمد عادل فارس

وعد الله تعالى عباده ألا يضيع عليهم عملاً من أعمال القلوب أو أعمال الأبدان، طالما قصدوا به وجهه، وكان موافقاً لشرعه، ولو كان هذا العمل مثقال ذرّة! بل وعد الله سبحانه بمضاعفة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف.

ولا نعلم عملاً من أعمال الخير والبر يعطى صاحبُه الأجر غير المحدود إلا الصبر، فقد تواردت النصوص في كتاب الله تعالى وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم على أن جزاء الصبر لا حدود له. ورأس ذلك قول الله تعالى: «إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب» [الزمر: ١٠].

وهذه بعض أقوال علماء الأمة في هذه الآية الكريمة:

قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يُكال، إنما يُغرَف لهم غَرْفاً.

وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يُحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يُزادون على ذلك.

وقال عطاء بن أبي رباح: بما لا يهتدي إليه عقل ولا وصف.

وقال مقاتل بن حيان: أجرهم الجنة، وأرزاقهم فيها بغير حساب.

وقال الشوكاني: أي بما لا يَقدر على حصره حاصر، ولا يستطيع.

وفي تفسير «فتح البيان» يربط المفسر بين هذه الجملة من الآية وبين الجملة التي سبقتها: «... وأرض الله واسعة. إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» فيقول: الصابرون على مفارقة أوطانهم وعشائرهم، وعلى غيرها من تجرُّع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله، وهذه فضيلة عظيمة، ومثوبة جليلة، تقتضي من كل راغب في ثواب الله، وطامع فيما عنده من الخير، أن يتوفر على الصبر ويزمَّ نفسه بزمامه، ويقيدها بقيده، فإن الجزع لا يرد قضاء قد نزل، ولا يجلب خيراً قد سُلب، ولا يدفع مكروهاً قد وقع، وإذا تصور العاقل هذا حق تصوره، وتَعَقَّله حق تعقُّله، علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم، وظفر بهذا الخير الخطير، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى. ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يُقادَر قدرُه، ولا يُبلَغ مداه، فضم إلى مصيبته مصيبة أخرى ولم يظفر بغير الجزع.

قال علي بن أبي طالب: كل مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً إلا الصابرين، فإنه يحثى لهم حثياً، وروي أنه يؤتى عليهم الأجر حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض، لما يذهب به أهل البلاء من الفضل.

ولنبدأ بالحديث عن معنى الصبر وأنواعه.

فالصبر لغةً هو الحبس والكفّ، ومنه قولهم: قُتل فلانٌ صبراً، إذا أُمسك وحُبس ثم قُتل. وبهذا المعنى جاء قوله: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه».

ويقابل الصبرَ الجَزَعُ، وقد قابل القرآن الكريم بين الكلمتين: «سواءٌ علينا أجزِعْنا أمْ صبرنا. ما لنا من محيص» [إبراهيم: ٢١].

والصبر في الشرع قريب المعنى من هذا، فهو حبس النفس على ما تكره، ابتغاء مرضاة الله. ومن هذا قوله سبحانه: «والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم» [الرعد: ٢٢].

وأما أنواع الصبر فكثيرة جداً، ويمكن تصنيفها في ثلاثة أصناف:

أولها: الصبر على المصائب في النفس والأهل والمال وفي الهجرة عن الأوطان وتسلّط الأعداء... وهو أكثر ما يسمى صبراً.

وثانيها: الصبر على القيام بالطاعات التي تستثقلها النفس، وهذا ما يختلف كثيراً بين نفس وأخرى. فنفس تستثقل هجران الفراش إلى الوضوء والصلاة، ونفس تستثقل الصيام والتعرّض للجوع والعطش، وأخرى تستثقل الجهاد وبذل المال والنفس...

والثالث: الصبر عن المعاصي التي تشتهيها النفوس. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حُفّت الجنة بالمكاره، وحُفّت النار بالشهوات» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

ويتفرع عن هذه الأصناف صور شتى.

فالصبر على احتمال الغنى يسمى ضبطاً للنفس، ويقابله البطر.

والصبر في جهاد العدو يسمى شجاعة وثباتاً، ويقابله الجبن.

والصبر في كظم الغيظ يسمى حِلْماً ويقابله التذمر.

والصبر في تحمّل الفقر يسمى قناعة، ويقابله الضجر والتشكي إلى الخلق.

واقرأ قوله تعالى: «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات. وبشّرِ الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة. وأولئك هم المهتدون» [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فإذا علم المؤمن جزاء صبره سهُل عليه الصبر: ارتقت نفسه وتهذّبتْ فترفعت عن المعاصي، وتذوقت لذة الطاعة فأقبلت عليها بلذة، وعلمت أن وراء المصائب التي تنزل حكمةً لله. فرضيتْ بقضاء الله وقدره.

وما أجمل ما يعبِّر به أصحاب الأذواق حين يقولون: إن الذين يفهمون عن الله يرضَوْن بما يقدِّره الله لهم، ويعلمون أن وراء أقداره حِكماً ورحمة. وهذا المعنى هو الذي يترجم عنه الحديث الذي رواه مسلم عن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له».

نعم. ليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. فالمؤمن هو الذي يحتسب المصيبة عند الله، وهو الذي يرجو المثوبة منه، وهو، قبل ذلك، يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن وراء ذلك كله حكمة لله.

ومن تأمل في معاني الصبر ومواطنه علم أنه يتخلّل

كل أحوال المؤمن، كالنُّسُغ الذي يسري في كل خلية من خلايا البدن، وهو ما نجده في كتاب الله تعالى المعجِز الذي صوّر الصبر ممازجاً لكل موقف وتصرّف للمؤمن. ونقف أمام ثلاثة نماذج من ذلك في القرآن الكريم:

في سورة الرعد (الآيات ١٩-٢٤) يصف الله تعالى أولي الألباب بعدد من الصفات العليا: «الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، والذين يصِلون ما أمر الله به أن يوصَل ويخشَون ربّهم ويخافون سوء الحساب، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية، ويدرؤون بالحسنةِ السيئةَ أولئك لهم عقبى الدار» وقد كان من بين هذه الصفات أنهم «صبروا ابتغاء وجه ربهم» ولكن الآية الأخيرة تبين أن ما نالوه من عقبى الدار إنما كان نتيجة الصبر: «سلامٌ عليكم بما صبرتم». وذلك أن وفاءهم بعهدهم والتزامهم بالميثاق وصلة ما أمر الله به أن يوصل... كله صبر، أو إن روحه هو الصبر.

وفي سورة الفرقان (الآيات ٦٣-٧٧) تأتي صفات عباد الرحمن فإذا هم «يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. والذين يبيتون لربهم سجّداً وقياماً...» إلى غير ذلك من الصفات المثلى، وليس من بينها الصبر، ولكن الآيات تُختَم بقوله سبحانه: «أولئك يُجزَون الغرفة بما صبروا ويُلقَّون فيها تحية وسلاماً» فكيف استحقوا هذا الجزاء على الصبر ولم يُذكر الصبر في صفاتهم؟! إن الصبر هو الخلق الملازم لكل صفة من صفاتهم، فهم أبداً صابرون: صابرون على قيام الليل وعلى ضبط إنفاقهم بين الإسراف والتقتير، وعلى كل ما امتدحهم الله تعالى عليه.

وفي سورة الإنسان كذلك ترد صفات الأبرار: «يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً. ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً...» وهنا أيضاً لم يرد ذكر الصبر في صفاتهم لكنه كان المقارِن والممازِج لكل هذه الصفات، أو كان الحافزَ لها والحافظ، بل الروح فيها، ولذلك كان الصبر سبب جزائهم العظيم: «وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً».

ولأن للصبر هذه المكانة العالية كان الأجر عليه بغير حساب، وكان خُلقَ الأنبياء، وكان البلاء لا يكاد ينفكّ عن الأنبياء والأمثل فالأمثل. ونحن نورد هنا بعض النصوص الشريفة التي تزيدنا نوراً وهدى:

قال تعالى: «الم. أحسِب الناسُ أن يُترَكوا أن يقولوا: آمنّا، وهم لا يُفتَنون؟! ولقد فتنّا الذين من قبلهم فلَيعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين» [العنكبوت: ١-٣].

وقال سبحانه: «ومن الناس من يقول: آمنّا بالله. فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله. ولئن جاء نصرٌ من ربّك ليقولُنّ: إنّا كنّا معكم. أَوَليس الله بأعلمَ بما في صدور العالمين» [العنكبوت: ١٠].

وقال: «ما كان الله لِيذَرَ المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يَميز الخبيث من الطيب. وما كان الله ليُطلعكم على الغيب...» [آل عمران: ١٧٩].

وقال: «إن يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القوم قرحٌ مثله. وتلك الأيام نداولها بين الناس، ولِيعلمَ الله الذين آمنوا ويتخذَ منكم شهداء. والله لا يحب الظالمين. وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. أم حسِبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم ويعلمَ الصابرين» [آل عمران: ١٤٠-١٤٢].

وقال: «فاصبر إن وعد الله حقٌّ ولا يستخفّنّك الذين لا يوقنون» [الروم: ٦٠].

ومن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم نقتطف هذه الدرر:

- «لا تتمنوا لقاء العدو، وإذا لقيتموهم فاصبروا. واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف». رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود.

- «ومن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْه الله. وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسعَ من الصبر». رواه البخاري ومسلم.

«... والصلاة نورٌ، والصدقة برهان، والصبر ضياء...» رواه مسلم.

- «ما يصيب المسلمَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ [أي مرض] ولا همٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذى ولا غمٍّ، حتى الشوكةُ يُشاكُها إلا كفّرَ الله بها من خطاياه». رواه البخاري ومسلم.

ومما يُنسَب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

اصبرْ على مَضَضِ الإدلاج في السَّحَرِ
وفي الرّواح إلى الطاعات في البكر
إنّي رأيتُ، وفي الأيام تجربةٌ:
للصبر عاقبةً محمودةَ الأثَرِ
وقلَّ من جدَّ في أمرٍ يؤمّله
واستصحب الصبرَ إلا فاز بالظفرِ

ومما قاله الحكماء:

- الإنسان من غير صبر سراجٌ من غير زيت.

- حلاوة الظفر تمحو مرارة الصبر.

- لولا ثمرات الصبر ما نجح معلم في تبليغ رسالته، وما أكبَّ عالم على كتاب، ولا سهرتْ أمّ على راحة وليدها، ولا تكبّد أب مشقة البحث عن لقمة العيش، وما أمر آمر بمعروف وهو يعلم ما يصيبه من أذى الناس.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصبر المطلوب من المؤمن ليس هو القعود والخنوع والذل والاستسلام، بل هو العمل الجاد الدؤوب، مع ربط القلب بالله وانتظار الفرج والنصر منه سبحانه، وترك التشكّي إلى الخلق.

فالصبر على المرض مثلاً لا يمنع التداوي، بل قد أمر الإسلام بالتداوي على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تداووا عباد الله، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء» رواه الإمام أحمد.

والصبر على الفقر لا يمنع بذل الجهد في كسب الرزق الحلال. قال تعالى: «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه» [الملك: ١٥].

والصبر على أذى أعداء الإسلام لا يمنع مجاهدتهم. قال تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين لله. فإن انتهَوا فلا عدوان إلا على الظالمين» [البقرة: ١٩٣].

بل إن سيد الصابرين رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا بهديه الشريف أن يصبر الصبر الجميل الذي لا ضجر معه ولا يأس، وأن يستمر داعياً ومبشراً ونذيراً ومجاهداً بلسانه وسيفه حتى فتح الله له البلاد كما فتح له القلوب.

بل نجد في كتاب الله تعالى ربطاً عظيماً بين الصبر والعزيمة، ولنقرأ قول الله تعالى: «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم» [الأحقاف: ٣٥].

اللهم اجعلنا ممن يصبر لك وقد قلتَ لنبيك «ولربّك فاصبر» [المدثر:٧]، وكن معنا وقد قلت: «إن الله مع الصابرين» [الأنفال: ٤٦].

فتاوى

حكم إعطاء البيعة لأمراء الكتائب

:: هيئة الشام الإسلامية
www.islamicsham.org

السؤال:

ما حكم عقد البيعة لأمراء الكتائب؟ وهل يجوز نقضها، أو الانسحاب منها؟

الحمد لله:

أولاً: المراد بالبيعة: إعطاء العهد على السمع والطاعة.

قال الخازن رحمه الله في «تفسيره»: «وأصل البيعة: العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه من بذل الطاعة للإمام، والوفاء بالعهد الذي التزمه له».

وسُميت بذلك لأنهم كانوا إذا بايعوا الأمير جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسمِّيت بيعة، وصارت البيعة مصافحة بالأيدي.

قال ابن خلدون رحمه الله في «تاريخه»: «اعلم أنّ البيعة هي العهد على الطّاعة، كأنّ المبايع يعاهد أميره على أنّه يسلِّم له النَّظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلّفه به من الأمر على المنشط والمكره».

ثانياً: البيعة بمعناها المشهور والمصطلح عليه بين العلماء: تكون للحاكم الذي يتولى أمور الرعية وتدبير شؤونهم، وهذا المعنى هو المقصود منها في النصوص الشرعية الواردة في وجوبها والتحذير من نكثها، كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) رواه مسلم.

وقوله: (مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ ثَمَرَةَ قَلْبِهِ وَصَفْقَةَ يَدِهِ، فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ) رواه أحمد.

ولا يجوز عقد البيعة -بهذا المعنى- لغير الحاكم الذي تجتمع عليه كلمة المسلمين في ذلك البلد.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يُبَايَعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلَا» رواه البخاري.

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: «والمعنى: أنَّ من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضهما للقتل».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبوية»: «ولا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكة عليها، الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة، فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان، فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إماماً».

ثالثًا: الأصل أن تعيين أمراء الجهاد موكول للحاكم الشرعي، فإن غاب أو عُدم جاز للمجاهدين الاتفاق على تأمير أحدهم ليتولى تنظيم أمورهم القتالية وترتيبها؛ تجنباً لحدوث الفوضى والخلاف، كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم في غزوة مؤتة حين أمّروا عليهم خالد بن الوليد دون تولية سابقة من النبي صلى الله عليه وسلم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَأُصِيبَ -وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَذْرِفَانِ- ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ، فَفُتِحَ لَهُ) رواه البخاري.

قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح»: «وَفِيهِ جَوَازُ التَّأَمُّرِ فِي الْحَرْبِ بِغَيْرِ تَأْمِير (أي من السلطان)».

وإذا كان الشرع قد ندب المسلمين إلى تأمير أحدهم عند اجتماعهم على أمر من الأمور الخاصة كالسفر، فكيف بالقتال والجهاد!؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم:(إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ؛ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ) رواه أبو داود.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رحمه الله في «معالم السنن»: «إِنَّمَا أَمَرَ بِذَلِكَ ؛ لِيَكُونَ أَمْرُهُمْ جَمِيعًا، وَلَا يَتَفَرَّقَ بِهِمْ الرَّأْيُ، وَلَا يَقَعُ بَيْنَهُمْ الاخْتِلَاف «.

وقال ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوى»: «أَوْجَبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْمِيرَ الْوَاحِدِ فِي الِاجْتِمَاعِ الْقَلِيلِ الْعَارِضِ فِي السَّفَرِ ؛ تَنْبِيهًا بِذَلِكَ عَلَى سَائِرِ أَنْوَاعِ الِاجْتِمَاعِ».

قال الشوكاني رحمه الله في «نيل الأوطار»: «فَمَعَ عَدَمِ التَّأْمِيرِ يَسْتَبِدُّ كُلُّ وَاحِدٍ بِرَأْيِهِ، وَيَفْعَلُ مَا يُطَابِقُ هَوَاهُ فَيَهْلِكُونَ، وَمَعَ التَّأْمِيرِ يَقِلُّ الِاخْتِلَافُ وَتَجْتَمِعُ الْكَلِمَةُ، وَإِذَا شُرِّعَ هَذَا لِثَلَاثَةٍ يَكُونُونَ فِي فَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ أَوْ يُسَافِرُونَ، فَشَرْعِيَّتُهُ لِعَدَدٍ أَكْثَرَ يَسْكُنُونَ

الْقُرَى وَالْأَمْصَارَ وَيَحْتَاجُونَ لِدَفْعِ التَّظَالُمِ وَفَصْلِ التَّخَاصُمِ أَوْلَى وَأَحْرَى».

رابعاً: كل من دخل تحت إمرة هذا الأمير فيجب عليه السمع والطاعة له فيما يتعلق بتنظيم أمور الحرب وشؤونها.

ولا بأس بأخذ العهد من الناس على السمع والطاعة للأمير بأي صيغة كانت، ما لم تشتمل على مخالفة شرعية.

وتسمية هذا العهد «بيعة» -وإن كان مقبولاً من حيث الأصل اللغوي- إلا أنا لا نرى إطلاقه على العهد القائم بين قائد الكتيبة والمقاتلين معه؛ تجنباً لالتباسها بالبيعة الواردة في النصوص الشرعية، ولئلا يُظن أنه يلزم فيها ما يلزم في بيعة الحاكم الشرعي من الطاعة في كل كبيرة وصغيرة - بالمعروف- وتحريم الخروج وغير ذلك.

فليس لهذا القائد أو الأمير ما للحاكم الشرعي من الحقوق، ولا تُنزَّل عليه النصوص التي وردت في حق الحاكم، وليس له إلزام أتباعه بالطاعة المطلقة، بل تجب له الطاعة فيما وكل إليه من أمر الجهاد خاصة.

خامساً: من دخل تحت إمرة أحد قادة الكتائب وأعطاه العهد على السمع والطاعة في أمور الحرب، فالواجب عليه الوفاء بعهده، لعموم النصوص الحاثة على الوفاء بالعقود، كقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)، وقوله: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا» [النحل: ٩١].

وليس له نكث عهده بسبب مشاحنة أو اختلاف في وجهات النظر، لما يسببه ذلك من تخلخل الصفوف، وإضعاف الكتائب.

وله أن يطلب الإقالة من هذا العهد، وذلك بعد إبراء ذمته بتسليم عهدته من عتاد وسلاح إن كان استلمها منهم.

ويتحلل المرء من العهد بانتهاء الغرض الذي أعطي له، كانتهاء القتال ونحوه، ولا يلزمه أن يأتي بقول أو فعل ليتحلل منه، ولهذا لم يتحلل الصحابة رضوان الله عليهم من خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد عودتهم من مؤتة.

نسأل الله أن يعظم أجر المجاهدين وأن يجزيهم خير الجزاء على دفاعهم عن الحرمات والأعراض والأموال، وأن يجمع كلمتهم ويسدد رميهم، وينصرهم نصرًا مؤزرًا عاجلاً غير آجل.

والله أعلم

الشاعر الملتزم
وليد الأعظمي

الصورة من موقع ويكيبيديا الإخوان المسلمون

:: محمود الطويل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد القائل «إن من الشعر لحكمة» وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

أحب أن أصحب السادة القراء إلى رحلة قصيرة غير أنها ممتعة مع شاعر من شعراء العربية الذين هم أشهر من نار على علم، وقد طبقت شهرتهم الآفاق، وأصبح شعرهم يجري على كل لسان يحب الإسلام، ورب الإسلام، ونبي الإسلام. وهذا الشاعر هو الوليد بن عبد الكريم الأعظمي، ولد في الأعظمية ببغداد عام ١٩٣٠ م، وتربى فيها في أحضان بيت مسلم ملتزم بجوار مسجد الإمام الأعظمي أبي حنيفة النعمان، حيث دعي الحي والشاعر به، فقيل حي الأعظمية، وكذلك الوليد الأعظمي.

قال الشعر مبكراً، بعد أن قرأ القرآن على يد علماء بغداد المشاهير، وكان من هواة الفن فانتسب إلى معهد الفنون الجميلة، وحصل على شهادة في فن الخط العربي، وأصبح خطاطاً فناناً. أما الشعر فقد قرأ لكثير من الشعراء ومشاهيرهم، وأكثر من تأثر بهم الشاعران العراقيان جميل صدقي الزهراوي ومعروف الرصافي.

له مجموعة من المؤلفات النثرية، ومجموعة من دواوين الشعر، نذكر منها:

١-الشعاع. ٢-الزوابع. ٣-أغاني المعركة.

ينتسب شاعرنا إلى الشعراء الإسلاميين الملتزمين، الذين نذروا أنفسهم كاملة في سبيل الله، ينصر دين الله، ويدافع عنه، ويذب عن حماه، وله في ذلك أسوة شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم، حسان بن ثابت وغيره رضي الله عنهم جميعاً، وكان أشد تأثراً بحسان بن ثابت من غيره، فكما وقف حسان بن ثابت في عهد النبوة مدافعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته ومواقفه وغزواته، كذلك وقف شاعرنا الوليد المواقف القريبة منها، فهو يقف وقفة المعتز برسول الله كلما مر عليه ليلة مولده، فيقول:

يا ليلةَ المصطفى ذكراكِ حاضرةٌ
تأثيُرها في وجوهِ القومِ مُرتسِمُ
يا سيدي يا رسولَ الله معذرةً
إن خانَني فيكُمُ التعبيرُ والكَلِمُ

ويقول في وقفة أخرى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يا سيد الزعماءِ جئتُكَ شاكياً
أمرَ الذين تزعَّموا وتصدَّروا
ظنوا الزعامةَ بالقصور فشيَّدوا
ما شيدَّوا من مالِنا واستكبروا
يا مُنقذ العُربِ الحريصَ عليهِمُ
عادت (قُريظةُ) و(النَّضِيرُ) و(خَيبرُ)

ومواقف له يصعب حصرها، بقصائد من أجمل قصائده، يعدد فيها مزايا النبي الكريم ويذكر مواقفه، مقارناً بذلك حالنا التي ابتعدنا عن فيها هديه، وتنكرنا فيها لدينه وشريعته.

وإذا ذكر الوليد الأعظمي ذكر الشاعر الصادق العاطفة العذب اللفظ الواضح الفكرة، والذي يتدفق حباً ويسيل شوقاً ويهيم تحنانا إلى العودة إلى دين الله، و(العود أحمد)، فكم من قصيدة هام فيها بهذا الميدان فراح يتصور دعوتنا إلى الله وعزتنا التي نبغيها من جديد، ويربطها بأيام المسلمين، يوم بدر وغيره:

أيامُ شدَّتنا هذي ومحنتنا
بيَوم (خندقنا) مَوصولةُ النَّسَبِ
من يوم (بدرٍ) إلى الخُذَّال من (أُحُدٍ)
النَّازلين مع الأعداءِ في صَبَبِ
إلى (تبوك) وفُسَّاق (الضِّرار) بها
يَبغُونَ سوءاً وتَعرِيضاً بخَير نبي

وبحق يدعى شاعر الشباب، وشاعر الحقيقة، وشاعر الكلمة والمعنى، فهو دائماً وأبداً لا يقف حقيقة ولا لفظاً على الأطلال، أو مع رباب وسليمى وسعاد، فقد تتبعت دواوينه، وقرأت أشعاره فلم أجد بيتاً في فن الغزل أبداً، وهذه شهادة له بأنه لا يرى ولا يسمع ولا يحس ولا يفكر إلا من خلال دينه ودعوته، ودفعه بأمته إلى الأمام لتعيد أمجاد ماضيها، وليضيء من حاضرها التعيس المؤلم.

وأما في المديح فهو لا يمدح إلا دين الله وشريعته ونبيه وكل ما يلحق به فإن مدح رجلاً كان لهذا الرجل أثر في دين الله، فهو مثلاً يمدح أبا بكر رضي الله عنه ويتذكره بردة الناس عن دين الله فيقول:

قُم أبا بكرٍ وعَاِينْ رِدّةً
بَزَّتِ الأَمسَ ضلالاً واجتراما

ويتذكر أبا هريرة رضي الله عنه ويذكر حرصه على أداء ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وأنت الوفيُّ لهَدي النبيِّ فلم تتأولْ و لَم تَكذِبِ
وَعَيْتَ (الحديثَ) وأَدَّيتَهُ (صحيحَ) العِبارةِ و المَطلَبِ
حَفِظتَ لنا سُنّةَ المُصطفى وحَدَّثْتَ بالكَلِمِ الطَّيِّبِ

وأما من الرجال المحدثين، فلم يك يمدح غير الذين اشتهروا بالفضل والعلم والأدب من المسلمين. فيقول في تأبين العلامة محمد محمود الصواف المراقب العام للإخوان المسلمين في العراق:

أَكبَرتُ يَومَكَ أنْ يكونَ وداعا
يا مالئَ الوادي هُدىً وشُعاعا
يا باعِثاً هِممَ الشبابِ إلى العُلا
لولاكَ كادُوا يَذهبون ضياعا
يا داعياً لله أَفْنى عُمرَه
سعياً ليهدمَ للفسادِ قِلاعا
يا شيخَ أُمَّتِنا وحامِلَ هَمِّها
أَفنَيْتَ عُمرَكَ مُتعَباً مُلتاعاً

وكذلك إن ذم وعرّض فإنما يفعل ذلك دفاعاً عن أمته ودينه، واستمع إليه وهو يذم الطغاة فيقول:

يا تائِهاً غَرَّهُ مَالٌ ومَنزِلَةٌ
لا تنسَ قَبلَكَ (فِرعَوناً) و(قارُونا)
صَالُوا وجَالُوا وباعُوا واشتَرَوا وطَغَوا
وسخَّرُوا بالمَلايينِ المَلايينا
وحارَبُوا اللهَ فاسوَدَّتْ وجُوهُهُمُ
وأصبَحوا مَثَلا للمُستبدِّينا

وإنا لنجده وهو يقدم الإهداء في ديوانه الزوابع فيقول: (إلى الكاتب الإسلامي الكبير السيد قطب تقديراً وحباً).

ولا بد من ذكر رثائه الإمام الشهيد حسن البنا، فيقول:

يا مُرشِدِي، ذِكراكَ مرَّت بينَنا
والقلبُ في ذكراكَ في خَفَقانِ
قد كُنتَ يا حَسَنَ السَّرِيرةِ شُعلة
وَقّادةً بالنّورِ والإيمانِ
يا سيدي أَنشأتَ جيلاً صالحاً
مُتماسكاً كتماسُكِ البُنيانِ
وحَّدتَ أفكارَ الشبابِ بدعوةٍ
تدعو لِما قد جاءَ في القرآنِ

أما مذهبه الذي نوهنا عنه، وقلنا أنه ممتلئ العقل والقلب والسمع والبصر والأحاسيس كلها بهواه لهذا الدين ولرب هذا الدين سبحانه ولنبي هذا الدين صلى الله عليه وسلم، وهو بذلك يعمل بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « أوثق عرى الإسلام الحب في الله، والبغض في الله « فهو لا يبغض أحداً بغضاً شخصياً، ولا يحب أحداً حباً شخصياً، بل إنما نذر كل ذلك لله وفي الله، حتى صار صوفي الحب لله ولكتابه ولنبيه وللمؤمنين، وهو في ذلك واضح الفكرة نيَّرها.

وأما عن الكلمة فهو يستعملها في مكانها لتؤدي الغرض منها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، فإليك بعض عباراته في قصيدته (لينام أصحاب الكروش):

بالدِّين تنصهرُ النفوسُ وترعَوِي
عن غَيِّها وتعيشُ في اطمِئنانِ
والدينُ مفتاحُ السلامِ وحُكمُه
يَستبشرُ القاصي به والدَّاني
والدينُ عنوانُ السعادةِ والهنَا
والخيرِ والإصلاحِ والرضوانِ

ويقول مطالباً الناس بالعودة إلى الله، وتحكيم الشريعة الإسلامية في قصيدته (ذكر ... ونسيان):

شريعةُ الله للإصلاحِ عنوانُ
وكُلُّ شيءٍ سوى الإسلامِ خُسرانُ
لَمَّا تَرَكنا الهُدى حلَّت بنا مِحَنٌ
وهَاجَ للظُّلمِ والإفسادِ طُوفانُ
لا تبعَثوها لنا رجعيَّةً فتُرى
باسمِ الحضارةِ والتاريخِ أوثانُ
لا (حمورابي) ولا (خوفو) يُعيدُ لنا
مجداً بناه لنا بالعزِّ قرآنُ

ثم يسترسل في نفس القصيدة وكأنه ينظر بنور الله فيرثى لكثير من بلاد المسلمين، ويذكر المذابح والحيد عن أمر الله والظلم والطغيان، فيمر بسوريا البعث النصيري عام ١٩٦٤ فيقول - وكأنه في يومنا هذا- عن المذابح والجرائم في الشام:

ولا تسل عن دمشقَ الشامِ ما لقيَت
مما يدبِّرُ(ميشيلٌ) و(عِمرانُ)
قد مَسَّها الضُّرُّ مُذ هَدّتْ مساجدَها
عصابةٌ هَزَّها حقدٌ وطُغيانُ
أوامرُ الكفرِ مِن (ميشيلَ) نافِذةٌ
ليختفي (عمرٌ) منها و(مروانُ)

يقول الأستاذ والمفكر الرباني الأديب سيد قطب: ((إن للألفاظ أرواحاً، ووظيفة التعبير الجيد أن يطلق هذه الأرواح في جوها الملائم لطبيعتها، فتستطيع الإيحاء الكامل، والتعبير المثير)) . وشاعرنا الوليد الأعظمي يدرك أن للألفاظ أرواحاً تنطق في مكانها الذي وضعت فيه، فيضعها حيث يجب أن توضع بأسلوبه الخاص، إذ تسري فيه روح وليد قبل أن تسري فيه معاني الكلمات، ولذلك تجد القبول لشعره غير ما تجد عند سماع غيره.

فهو إذاً شاعر الفن للمجتمع وفي خدمته، لا شاعر الفن للفن، وهو بهذا الوصف يتناول قضايا أمته، فيسره ما يسرها ويسوؤه مايسوؤها، ويتعامل مع مشاكلها على ضوء ما استكان في نفسه واستقر في قلبه من مشاعر إسلامية متفاعلة مع المسلمين في الوطن العربي والإسلامي، وهو حين يتناولها لا يتناولها إلا بجرأة الصادع بالحق الصادح بأمجاد أمته، وذلك بدافع من إيمانه العميق بكل ما يقوله وينظمه، فهو مثلا يشيد بالثورة الجزائرية، ويندد بفرنسا المستعمرة ويقرر أموراً هي حق لا يقبل التردد:

يا أهلَ باريسَ كُفُّوا عن تَعَسُّفِكم
فليس تَنفعُكم هذي الحَماقاتُ
قدِ ادَّعيتُم بأنَّ السِّلمَ غايتُكم
هاتُوا دليلاً على ما قُلتمُ هاتُوا
هل في تعاليمِ (عيسى) يا أحبَّتَه
ظلمٌ وبغيٌ وإرهاقٌ وإعناتُ
أين السلامُ الذي جاءَ المسيحُ بهِ
وأين قد ولَّتِ (العَشرُ الوَصِيَّاتُ)

ثم يقول:

لا شيءَ ينفعُنا إلا عقيدتَنا
(الله أكبرُ) لا العُزَّى ولا اللَّاتُ

وكثيرا ما يكرر شاعرنا ذكر واقع المسلمين، وكثيراً ما يعتب أشد العتب على أبناء الإسلام، وخصوصاً المتنفذين الذين نسوا بجلوسهم على كراسي الحكم الأمة وحاجاتها، بل باعوا أنفسهم للمستعمر يحتقرهم ويزدريهم، فهم لم يسعوا بالأمة إلى الحضارة، ولم يستعدوا بالأمة للقاء الأعداء، حتى ضاعت الأمجاد وحل الظلم والعسف بالأمة، فيقول في ذلك في قصيدته (بجماجم المستعمرين):

أَبكي على زمنٍ بهِ كنا ذَوي مجدٍ وشانِ
كنا على هامِ العُلا يَرنُوا إلينا الفَرقَدانِ

ثم يقول:

دار الزمانُ من السُّعودِ إلى النُّحسِ إلى الهَوان
وبَدَت على آفاقِنا سُحبُ التهالُكِ والتَّفاني

ويعرض بأرباب السلطان والنفوذ في هذه الأمة فيقول:

فكأنَّ تحريرَ البلادِ مُوكَّلٌ بالمهرجانِ
لم يَملكُوا شَروَى نَقِيرٍ مِن هُدىً ومِن اتِّزانِ
طُبِعُوا على حُبِّ التَّخنُّثِ والرَّذائلِ كالغَواني

ثم يقول داعياً إلى العودة إلى الله سبحانه وتطبيق شريعته:

يا قومَنا ما كانَ دِينُ مُحمدٍ دَعوى لسانِ
بل كان مِنهاجاً دقيقاً مُنقِذاً مما نُعاني

ثم يدعونا إلى فهم معضلات الأمة كلها فيقول:

بجماجمِ المستعمِرين نَدقُّ أبوابَ الجِنانِ

ثم يقول:

يَجري بها سيل الدماءِ كما يَسيلُ الرافدانِ

ولقد بدا لنا واضحاً أنه لا يضحي بالمعنى الذي يريد من أجل صورة شعرية أو تشبيه أو استعارة، وهو في ذلك كثيراً ما يقدم الخبر على الإنشاء، فيقرر الحقائق كما يراها، وإنه لذو رؤية حقيقية وبصيرة نافذة.

وأخيرا أقول: إن شاعرنا من شعراء الإسلام الأفذاذ الذين باعوا أنفسهم لله لا يريدون إلا الله، ولا يبتغون إلا وجهه الكريم، فأنا لم أوفه حقه، ولكن هذه وقفة قصيرة أحببت أن أذكر فيها بشاعرنا فرحمه الله وجعله وحشره مع من يحب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من روائع حضارتنا

:: د. مصطفى السباعي
من كتابه «من روائع حضارتنا»

ليس هنالك من يستطيع القيام بالدور الحضاري المرتقب إلا أمة واحدة هي أمتنا، ولن يستطيع حمل اللواء لحضارة الغد غيرنا .. وذلك للأسباب التالية:

أولا: إننا نحمل عقيدة من أرقى العقائد التي تساهم في بناء الحضارات، فهي عقيدة توحيد من أصفى أنواع التوحيد وأكثره إشراقاً وسمواً وكمالاً، وهي عقيدة علم تحترم العقل وتدفعه دفعاً حثيثاً وراء المجهول ليصبح معلوماً، وهي عقيدة خلق إنساني معتدل كريم، يتجافى عن الإفراط في الرحمة والتفريط في العدالة، وعن الإفراط في الحب والتفريط في الواجب. وهي عقيدة تشريع يهدف إلى اليسر، ويتوخى المصلحة: مصلحة الفرد ضمن مصلحة المجموع، ومصلحة المجموع غير مفرط بمصلحة الفرد، مصلحة الأمة ضمن الإطار الإنساني العام، ومصلحة الإنسانية كلها من غير محو لفضائل الشعوب وخصائص الأمم وقضاء على كرامتها.

ثانيا: إننا أصحاب روحانية إيجابية بناءة، روحانية إلهية تلازم الجندي في حربه، والعامل في مصنعه، والعالم في درسه، والفيلسوف في بحثه، والقاضي في محكمته، والموظف في وظيفته، والرئيس في رئاسته، تلازم كل إنسان في جده وهزله، وحركته وسكونه، وليله ونهاره، ويسره وعسره، وصحته ومرضه، لا تمنعه في حال عن حال، بل تنقله من كمال إلى كمال، وتذكره بالله الذي خلقه، والأرض التي درج عليها، والناس الذين يعيش معهم، والعالم الذي هو جزء منه في وحدته الكبرى وعبوديته لله رب العالمين.

ثالثا: إننا أثبتنا في الماضي قدرتنا على إنشاء مثل الحضارة المرتقبة، ومهما قيل عن حضارتنا من قبل الخصوم والجاحدين فإن أحدا لا ينكر أنها كانت أكثر من الحضارة الغربية الحديثة رحمة بالناس، وسمواً في الخلق، وعدالة في الحكم،

وإشراقاً في الروح، واقتراباً من المثل الأعلى للإنسان في مختلف عصوره وأطواره. وما دمنا قد استطعنا أن نقيم تلك الحضارة الإنسانية الرائعة في عصور التخلف العلمي والفكري، فإننا أقدر على أن نقيم مثل تلك الحضارة في عصور التقدم العلمي، وانكشاف المجهول من الكون شيئاً بعد شيء.

إننا حين نمسك بزمام الحضارة المرتقبة لن نتخذ من الوصول إلى الفضاء دليلاً على إنكار وجود الله، ولن نتخذ من الصواريخ عابرة القارات ذريعة إلى تهديد الأمم والشعوب لتظل تحت دائرة نفوذنا، ولن نتخذ من الإذاعة وسيلة للتضليل، ولا من السينما آلة للإغراء، ولا من المرأة متعة للجسم، ولا من التقدم الحضاري أداة لاستغلال الشعوب المختلفة واستثمار خيراتها وإذلال كرامتها.

تلك هي الأسباب أو بعض الأسباب التي تجعلنا الأمم الوحيدة التي تستحق حمل لواء الحضارة بعد الغربيين، لإنشاء حضارة جديدة، تخفف من شقاء الإنسان، وتحقق له قسطاً أكبر من الأمن والطمأنينة والحياة الإنسانية المستقرة.

وإذا رجعنا إلى أصول عقيدتنا، وجدنا كتابنا المنزل يشير بصراحة إلى انفرادنا من بين أمم العالم بجدارة القيام بالدور الحضاري الذي تتطلبه الإنسانية في عصرنا الحاضر، لا لامتيازنا عن غيرنا عرقياً أو جنسياً أو فكرياً، فتلك خرافة لم يؤمن بها الإسلام يوماً ما، بل لما ذكرناه في السببين الأول والثاني مما ننفرد به عن غيرنا.

فالآية الكريمة التي تقول لنا: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» [آل عمران: ١١٠] إنما تشير بذلك إلى خصائص عقيدتنا وأخلاقنا التي أهلتنا لأن نكون خير أمة أخرجت للناس.

والآية الكريمة التي تقول عنا: «الذين إن مكناهم في الأرض أقامُوا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهَوا عن المنكر» [الحج: ٤١] إنما تشير بذلك إلى خصائص حضارتنا التي جعلتها خير حضارة أخرجت للناس.

والآية الكريمة التي تخاطبنا في كل وقت: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» [البقرة: ١٤٣] إنما تحملنا بذلك عبء حمل الرسالة، رسالة قيادة الناس ودلالتهم إلى طريق الحق والخير دائماً وأبداً، لا في عصر دون عصر، ولا في جيل دون جيل.

وإذا كنا قد استجبنا لنداء القدر فحملنا اللواء مرة واحدة، وقدنا الإنسانية إلى مراتع الأمن والهدى والنور، ثم تركنا اللواء وتهربنا من أداء الرسالة، فإن هذه الآية الكريمة لتستحث اليوم خطانا لنحمل اللواء مرة أخرى، ونرفع المشعل من جديد، ننقذ به الشعوب التي تتيه اليوم في ظلمات الخوف والقلق والشهوة والظلم واليأس المميت، ثم لا تجد مخلصاً من ذلك إلا بالانتحار: انتحار الأفراد بالأسلحة أو السموم القاتلة، وانتحار الشعوب بالقنابل الذرية والهيدروجينية!

Facebook

أغيد الطباع

ما تملأ به وعاءك هو ما سيفيض منه..

فانظر إلى روحك وعقلك.. و راقب كيف تغذيهما و بما

وتفكر فيما ينقصك لتكون أنت الذي تريد.. فسد النقص

و اربأ بنفسك أن يذهب أهل الفضل بالخير ويخلفوك وراءهم.. بوعاء فارغ

محمد خير موسى

للمرّةِ الألف: وحدةُ الصّفّ لا تعني أن نكسوَ الضّرسَ المنخورَ بالبلاتين قبلَ حفرِه وحشوِه، أو أن نخيطَ الجراحَ على ما فيها من قيحٍ وصديدٍ قبلَ تنظيفِها وتعقيمِها، وجمعُ الكلمةِ لا يعني معانقةَ مَن شَحَذَ خنجرَهَ ليغرسَه في الظّهرِ لحظةَ العناقِ قبلَ نزعِ الخنجرِ من يده والحيلولةِ دونَ وصولِه إليه بعدَ ذلك، والحفاظُ على تماسُكِ النّسيجِ الوطنيّ لا يعني إنكارَ الحقائقِ أو إخفاءَها أو عدمَ نشرِ الغسيلِ الوسخِ بل تنظيفُه ورميُ ما لا يقبلُ التّنظيفَ في المزابل، وكم هو جاهلٌ من ظنَّ أنَّ توحيدَ الجهودِ يتمُّ بتَبويسِ الشّوارب بعدَ فنجانِ قهوةٍ مرّةٍ!!

إيمان محمد

مشكلتنا إلى الآن لم تُراوح كونها مشكلة كرامة إنسان، أو عِزّة إسلام..

هذا الشّعور كان فطريّاً، ولكن شوّهته عقودٌ من التشرذم والضّيَاع..

وعودته لن تكون إلا بتعاملٍ جديد مع القرآن، وفهم حقيقي لمعانيه..

فهم يقودُ إلى التّطبيق والتّطهير والإصلاح..

فهم فاعل، ينير البصائر المغلقة..

فهم يجدد الرّوح، يوقظها، يحرّك خصال الخيرِ فيها..

فتعود بكامل استعدادها للعمل، والعطاء، والتّضحية والبناء..

من أجل «الرّسالة»..

يصبح الفرد المسلم ليس مجرّد رقم مسجّل على الهامش..

بل كياناً قادراً على التغيير والمواجهة..

مشكلتنا أننا محاصرون ما بين ذُلّ، وجَهلٍ، وبُعدٍ، واستجداء..!

Omar Mushaweh (عمر مشوح)

في ذكرى استشهاد الشيخ عبد اللّه عزام.. أتت ثورات الربيع العربي لتثبت أن الثورة التي لا تضم بين جنباتها رجالا كالشيخ عبد اللّه عزام هي ثورات ناقصة!

نشاطا.. حركة.. إيمانا بالفكرة.. إخلاصا.. صدقا.. تضحية.. عملا دؤوبا.. توحيدا للكلمة.. مرونة فكرية وسياسية.. ثباتا على المبادئ.. قدوة في كل شيء!

عندما تغيب هذه الصفات عن قيادات الثورات.. فاعلم أننا بحاجة إلى «إعادة إنتاج الثورة»!

يا رب.. انصر جنودك

:: خالد البيطار

ماذا لَدَيَّ من الدواءْ ... غيرُ التَّضَرُّعِ والدعاءْ؟!
غيرُ الدموعِ لِما أراهُ ... من البلايا والدماءْ؟!
أشكو وأرفعُ ناظريَّ ... وراحتيَّ إلى السماء
وأقولُ: يا رباهُ حفظَكَ ... للرجال وللنساء
العاجزينَ الصابرينَ ... على البلاء والابْتلاء
واشمَلْ برحمتك الصغارَ ... الأبرياءَ الأنقياء
وانصرْ جنودَكَ إنهمْ ... أَعْطَوْكَ يا ربِّ الوَلاء
الناشئين على الهدى ... التائبين الأوفياء
الباذلين نفوسَهم ... الرافعين لكَ اللواء
ظُلِمُوا وأنت نَصيرُهمْ ... والنصرُ منْك بِلا مِرَاء
فامْنُنْ عليهمْ واحْمِهمْ ... ممّا يُدَبَّرُ في الخَفَاء
همْ يَبْذُلون دماءَهُم ... ودماؤُهمْ شُعَلُ الضياءْ
وأنا هنا أرجو اللقاء ... بهم فيا نِعْمَ اللقاء
حتى أكونَ شَرِيكَهمْ ... فيما نُقَدِّمُ من فِداء
فَهُمُومُهُمْ هَمِّي وغَمِّي ... في الصباح وفي المساء
واللهُ يعْلَمُ ما يكابدُهُ ... فؤادي مِنْ عَنَاء
لَكِنَّهُ شَتَّانَ بيْن الدمعِ ... والدَّمِ في العطاء
إني هنا وأنا بَعِيدٌ ... أَعْرِفُ الدَّاءَ العَيَاءْ
داءَ النفاقِ وقدْ تَبَدَّى ... دون سِترٍ أو حياء
من زمرةٍ قد أتقنتْ ... فَنَّ المِرَاءِ والافْتِراء
من أجل نُصْرةِ حاكمٍ ... ظَنُّوا بِأَنَّ له البقاء
كيف البقاءُ لقاتلِ الشّعْبِ البَرِيءِ بِلا ارْعِواء؟!
كيف البقاءُ لحاكمٍ ... سَفَكَ الدماءَ بِلا ارْتِواء؟!
هَدَمَ البيوتَ مع المساجدِ ... والمآذنِ والنداء؟!
أين الجنودُ المخلصون ... إذَنْ ودَمْعُ الأبرياء؟!
أين الدعاءُ وأين آهاتُ الثكالى والإماء؟!
أيَضِيعُ في السَّحَرِ البُكاءُ ... مع التَّبَتُّلِ والرجاء؟!
لا والذي قَصَمَ الطغاةَ ... ومَنْ إليْهِ الكِبْرِياءْ
لا لن يَضِيعَ ولن يَمُرَّ ... بلا حسابٍ أو جزاء
لا لن يَضِيعَ ، وحَسْبُنا ... مَنْ لا يُرَدُّ له قضاءْ